

مراحل إنجاز الأطلس اللسانية العامة

دراسة حول تجربة الأطلس العام لشمال أمريكا.

General Linguistic Atlases and their Stages of Achievement: Study on the experiment of the General Linguistic Atlas of North America.

د/ عبد الكريم جيدور

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وحدة ورقلة (الجزائر)

Karimn2000@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01	تاريخ القبول: 2020/11/12	تاريخ الإرسال: 2020/09/01
-------------------------	--------------------------	---------------------------

Abstract:

This study aims to clarify the basic stages by which the preparation of general linguistic atlases, a type of atlases that requires great efforts, many preparations and abundant resources; Because they are a comprehensive atlas that Covers a wide geographical region, and reflects most of the linguistic features in a given language; From sounds, through vocabulary, until to the meanings of structures and expressions. We have based this work on the pioneering experience of the general linguistic atlas of North America, which has been accomplished over many years by a team of leading scientists headed by: Hans Kurath and William Labov.

key words: stages; Completion; atlas; my tongue; Experiment; General atlas;

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح المراحل الأساسية التي يمر بها إعداد الأطلس اللسانية العامة، وهو نوع من الأطلس يتطلب جهودا كبيرة وتحضيرات كثيرة وموارد وفيرة؛ لأنه أطلس شامل؛ يغطي إقليما جغرافيا واسعًا، ويعكس جُلّ الملامح اللغوية في لسان من الألسن؛ انطلاقا من الأصوات مرورًا بالمفردات وصولًا إلى دلالة التراكيب والعبارات. وقد أسسنا هذا العمل على تجربة رائدة تتمثل في الأطلس اللساني العام لشمال أمريكا الذي أشرف على إنجازهِ عبر سنوات عديدة فريق من ألمع علماء اللسان على رأسهم: هانز كورات ووليام لابوف.

الكلمات المفتاحية: مراحل؛ إنجاز؛ أطلس؛ لساني؛ تجربة؛ أطلس عام.

تقديم:

تُرجع الموسوعات الغربية أول استعمال لمصطلح الأطلس اللساني (linguistic Atlas) إلى سنة 1917م وكانت تعني وقتئذ: "مؤلفاً (كتاب أو ألبوم) يشتمل على مجموعة من الخرائط التي سجّلت عليها التنوعات الكلامية (speech variations)"¹. وتوضح مصادر أخرى بأن الأطلس ينبغي أن يُعنى بتوزيع الملامح اللغوية والسمات النطقية الراجعة إلى لغة معطاة داخل منطقة جغرافية محددة المعالم. ثم تصمم الخريطة اللسانية كما تصمم الخرائط الجغرافية العامة؛ اعتماداً على رموز إشاريّة موحدة، وتظلّل المناطق أو يتم تلويحها اعتماداً على استعمال الناطقين الأصليين، فتظهر المستويات اللسانية التي يمكن فيما بعد تحليلها وتأويل نتائجها². أفضل طرق لجمع المعلومات هي أن يتم استجواب الناطقين المثاليين الذين يطلق عليهم تسمية (الرواة) في محالّ سكناهم، وتسجّل أجوبتهم على الفور. وعندما يتعذر هذا الإجراء فإن الطريقة المعتمدة هي أن تُجمع البيانات عن طريق المراسلة بالبريد أو عن طريق الهاتف. وقد جربت مؤخراً العديد من الطرائق الجديدة استخدمت فيها الوسائط التكنولوجية ومواقع التواصل الاجتماعي، ولقد أظهرت هذه المحاولات نتائج متميزة في العديد من الجوانب وعلى الخصوص توفير بيئة طبيعية وسلسة للكلام.

رغم أن العمل على الأطلس اللسانية موحد عموماً من جهة مراحل الأساسية، إلا أن لكل تجربة مزاياها وعيوبها في الآن معاً. والجدير بالذكر أن بعض هذه المشاريع لا تختار بالضرورة تسمية الأطلس اللساني، فأطلس سكوتلندا الذي أشرف عليه أغنوس ماكنوش اختار تسميته "مقدمة حول استطلاع بخصوص اللهجات الأسكتلندية"³.

1. التطور المتسارع لعلم اللهجات وبداية التفكير في الأطلس اللسانية العامة:

بدأت التحريات المنظّمة حول اللغات واللهجات مع النحاة الجدد في أوروبا وأغلب هؤلاء كانوا من الباحثين الأكاديميين المتخصصين في اللغات الهندوأوربية، والنحاة الجدد أو اليافعون (Junggrammtiker)⁴ كما أطلقوا على أنفسهم، هم مجموعة من فقهاء اللغات (الفيلولوجيين) الألمان اشتغلوا مدة طويلة في جامعة لايبزيغ العريقة خلال 19م، وقد توصلوا إلى قانون عام أساسي معتد به حتى الآن يعرف "بقانون التغير الصوتي" (sound law)⁵ وكانوا أول من أطلق الفرضية القائلة بأن التغير اللهجي، أو التنوع داخل اللغة الواحدة لا بد أن يقدم إشارات مهمة حول تطور اللغات، ولذلك تم تطبيق هذا الاتجاه الجديد في الدراسة بصفة مكثفة ومباشرة على مشاريع التصنيف الأسري للغات، وكانت تلك المبادرات بمثابة التأسيس الفعلي لما أصبح يعرف بعد ذلك باللسانيات الجغرافية أو علم اللهجات dialectology. وقد أعجب الكثير من العلماء بهذه الأفكار ولقيت قبولا وانتشارا سريعاً حول العالم.

2. الجهود المبكرة في الدراسات اللهجية:

1.1. مشروع أطلس اللغة الألمانية:

كان كيورك فينكر Georg Wenker (1852-1911) رئيس لجنة الأطلس اللساني للغة الألمانية (ألمانيا، النمسا، سويسرا)⁶ الباحث الذي طرح وبقوة فكرة تطبيق قوانين التغير الصوتي للنحاة الجدد في الدراسات الميدانية وأثمرت جهوده عن ميلاد أول أطلس لساني من نوعه في العالم. بتمويل من جامعة لايبزيغ العريقة.⁷

قام فينكر بإرسال قائمة محددة من الجمل عرفت بجمل فينكر (Wenker sentences) إلى عدد كبير من المتكلمين الأصليين باللغة الألمانية من ذوي المستوى الثقافي العالي والمقبول، وطلب إليهم إعادة كتابتها بحيث تظهر طريقة النطق المتداولة في الحياة اليومية لإقليم إقامتهم.⁸

1.1.2. العينة التي اعتمدها الأطلس الألماني:

كانت العينة التي استخدمها فينكر عبارة عن مجموعة كبيرة من الباحثين والعلماء في جامعة لايبزيغ وغيرها من جامعات ألمانيا، إضافة إلى عدد كبير من معلمي اللغة الألمانية. إن الأطلس الألماني (Der Sprachatlas) منذ ظهور طبعته الأولى سنة 1881م حتى يومنا هذا، اتبع مقاربة واضحة تعتمد حصريا على التقسيم الجغرافي المناطقي من جهة؛ وهذا تطلب تحديدا مسبقا للوحدات اللغوية المطلوب استظهارها، والتي كان يشترط فيها أن تظهر قدر الإمكان كل التحولات التي طالت مصفوفة النظام الصوتي للألمانية الفصحى، وبدرجة أقل كلا من التغيرات والاختيارات والتقييدات الموجودة في المستوى الإفرادي أو المعجم بصفة عامة. من جهة أخرى انطلقت مقاربة الأطلس الألماني على الإحالة التقابلية مع اللغة الألمانية الفصحى أو النموذج المعياري (standard germany) على أساس أن كل التنوعات الموصوفة باللهجية، فيما يظهره الاختلاف الإقليمي، هي أنظمة تخاطبية فرعية تندرج بالكامل تحت نظام أعلى منها، وهو الأصل المتحكم في حركة عناصرها، تمثله اللغة الألمانية الفصحى في نموذجها الأكاديمي والمدرسي.

لقد وجهت لهذا التصور انتقادات شديدة، وخاصة من خارج ألمانيا، غير أن الوقائع كشفت لنا أنه النموذج الوحيد الذي كان مجديا من الناحية العملية، فلقد استفادت منه اللغة الألمانية استفادة واضحة. في حين أن نماذج أخرى بدت جذابة ومشوقة لم تستطع أن تتجاوز الإطار النظري للحقائق.

ومن اللافت للنظر بصورة واضحة أن هدف المشروع كان إظهار السمات والملامح الأدائية المميزة في النطق تحديداً، ولم يركز كثيراً على المعنى، وكان يعمل على مقابقتها دائماً بالألمانية الفصحى.

كما تم إعادة تسجيل كل الجمل الأربعين⁹ بصفة مستقلة جملة جملة أخذاً في الحسبان معيار توزيعها الإقليمي، وكان من الشروط أن تكون مدة التسجيل قصيرة جداً من أجل تسهيل التحليل المخبري والكتابة الصوتية (أقل من عشر ثواني في الأعم الأغلب)، ثم يتم إرفاق كل تسجيل في نسخة الأطلس المحوسب بالكتابة الصوتية للأداء اللهجي ونص مقابل باللغة الألمانية الفصحى، كل ذلك عن طريق رموز كودية متفق عليها.

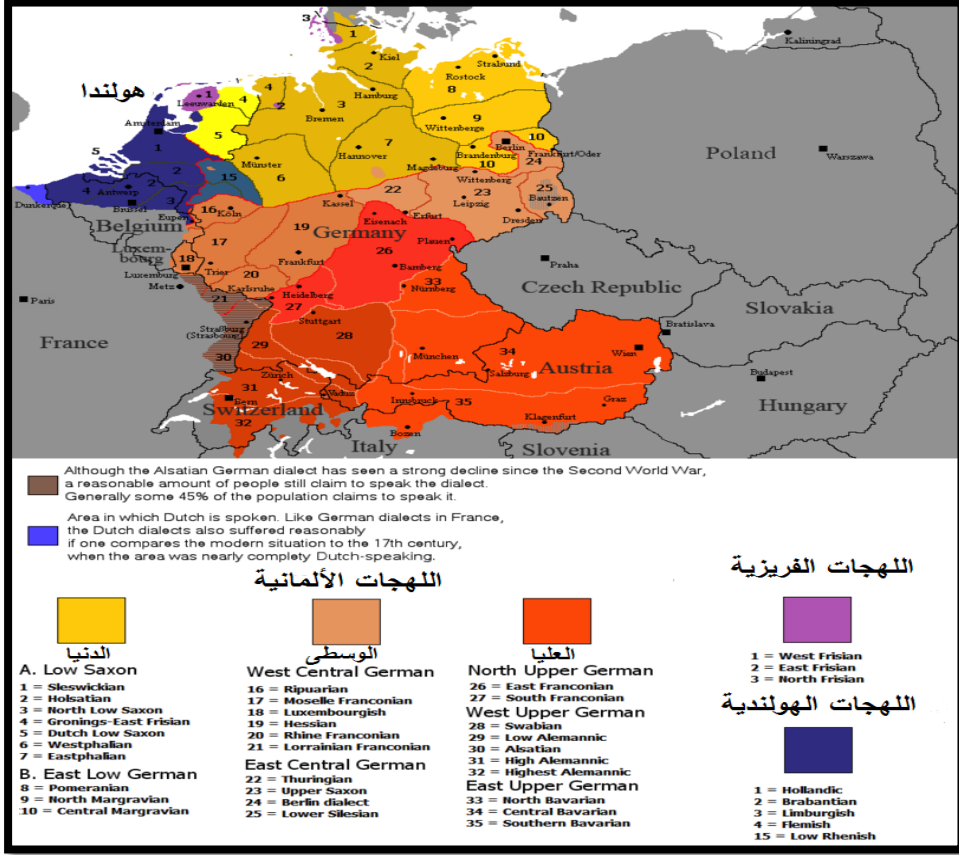
الجدول 1: نموذج من جمل فينكر المعيارية.

Der gute alte mann ist mit seinem pferd durchs Eis geborchen und ins kalte wasser gefallen	الجملة القياسية
Pferd= Gaul (الحصان) Mann= Kerl (الرجل)	ملاحظات المخبر
مفردتان شائعتان في الفصحى لهما مرادف مختلف في اللهجة الشمالية.	
الرجل العجوز الصالح مع حصانه وسط الجليد المتحطم وهما ساقطان داخل المياه الباردة.	عربية
The good old man is with his horse through the ice broken and into the cold water fallen.	english

Jürgen Erich Schmidt(2011). language mapping:160

تظهر خرائط الأطلس الألماني باستمرار التقابل المشار إليه آنفاً، كما عُتيت بإظهار العلامات المُجيلة على كيفية نطق الجملة الواحدة من الجمل القياسية داخل الأقاليم اللغوية الثلاثة: الأعلى والأدنى والأوسط. لكن اللغويين الألمان المعاصرين لاحظوا ولأسباب كثيرة ضرورة ملحة نحو مزيد من الضبط في هذا التصنيف، لذلك نجد في الخرائط المعاصرة، كما في الأطلس الألماني المحوسب، صنفين أو تنوعين لهجيين إضافيين هما: اللهجات الفريزية التي تتفرع بدورها إلى ثلاثة أداءات أساسية: الغربي والشرقي والشمالي. علماً أن الفريزية هي في الحقيقة لهجة أولغية تنتهي إلى الأسرة الجرمانية الغربية، وهو تصنيف أعلى من اللغة الألمانية الحديثة. كما نجد أيضاً اللغة/ اللهجة الهولندية التي تتفرع إلى خمسة أداءات أساسية: الهولانديك، البرابانتين، الليمبورغش، الفليمش، الرنيش الدنيا.

الشكل 1: نموذج من خرائط الأطلس الألماني المحوسب. المصدر: موقع أطلس اللغة الألمانية المستعملة في الحياة اليومية (Atlas zur deutschen Alltagssprache) مشروع دراسة مسحية تفاعلية بإشراف وتمويل جامعي سلسبورغ (النمسا)، ولياج (بلجيكا)، العنوان الإلكتروني: <https://www.atlas-alltagssprache.de/>



22. تجربة الأطلس العام لشمال أمريكا: الولايات المتحدة وكندا.

بدأ العمل على أطلس شمال أمريكا منذ عشرينات القرن 20م، وكان أبرز عالمين عملا في هذا المشروع هما الألماني هانس كورات Hans Kurat والروسي وليام لابوف William Labov. إن الجهود في هذا المجال بدأها كورات من خلال محاولات منظمة لتصنيف اللهجات الأمريكية، لكن معظم أعماله لم تنشر وحتى الأطلس الذي بدأ في وضعه لم يكشف عنه النقاب، وكان كورات متخصصا في اللسانيات التاريخية التطورية ومعتنقا للأسس المدرسانية التي أرساها العلماء الألمان في هذا المجال ولاسيما التركيز على المقارنة التحليلية الداخلية على أساس قوانين التغير الصوتي. الجدير بالذكر أن الأطلس الأمريكي هو في الحقيقة اصطلاح عام وفيه شيء من

التجاوز، لأنه لا يوجد حتى الآن أطلس يغطي كامل مناطق الولايات المتحدة بحذافيرها، في مقابل ذلك هناك مجموعة من الأطلس أشرفت عليها إما جامعات أو معاهد أو برامج بحثية تحت رعاية الوكالة الأمريكية للبحث العلمي¹⁰.

الأطلس الأمريكي المعروف أيضا بالأطلس اللساني لشمال أمريكا كونه شمل في التحريات الأولى مناطق واسعة من كندا لاسيما تلك المتاخمة على طول الولايات الشمالية للولايات المتحدة. يفترض بهذا الأطلس أن يظهر جميع الأداءات والتنوعات اللهجية المتداولة فيما يعرف بالإنجليزية الأمريكية. وقد اعتمد هو أيضا على التقسيم المناطقي الرباعي: شمال جنوب شرق غرب، ثم على مقياس جزئي هو التكتلات الإقليمية: شمال شرقي/غربي، خليجي/محيطي، تظهر الصورة مجموعة من المشاريع المدرجة تحت مسمى "أطلس اللغة الإنجليزية لشمال أمريكا"¹¹ (ANAE) نشر سنة 2005م وقام على إعداده فريق هائل من الباحثين ومجموعة من الجامعات وبإشراف من المركز الأمريكي القومي للبحث العلمي¹² تولى رئاسة المشروع العالم وليام لابوف¹³.

اعتبر هذا المشروع أول وأضخم عمل منهجي شامل لكل مناطق استخدام الإنجليزية الأمريكية في الولايات المتحدة وكندا، وهو أول عمل يغطي كل مظاهر التلفظ ونظام المصوتات الذي تتأسس عليه اللهجات المنطوقة في الولايات المتحدة وكندا. كما أنه، من جهة أخرى، محاولة علمية في اتجاه إعادة التعريف والتنظيم الشاملة والجذرية القائمة على مفهوم التغيرات الصوتية. اعتمد في إنجازها على دراسة مسحية شملت 762 فردا من الناطقين المحليين باستخدام تقنية تسجيل المحادثة عبر المكالمات الهاتفية، وقد سمح ذلك بإظهار النطق المحلي العفوي لجميع المناطق الحضرية في أمريكا الشمالية¹⁴.

اعتمد هذا الأطلس، كما أكد على ذلك لابوف نفسه في دراسات كثيرة، على ملاحظة ومقارنة التنوعات والاختيارات الأدائية للناطقين في المستوى الصوتوحرفي (phonological level) لأن لابوف ومدرسته يعتقدون أن التحويلات النطقية الجوهرية التي تشكل أداء إقليميا أو لهجة مخصصة تنحصر دائما في السمات الفونولوجية، وهي غالبا عناصر طرفية في كلام المتكلم المنفرد تتحول تدريجيا إما إلى نوع من التقدير والمهابة (prestige) الذي تنشره الثقافة والعمولة والإعلام وغيرها من ماكانات نشر الثقافة السائدة، وإما العكس؛ أن يتحول إلى ملمح ذابل متفوق، وغالبا ما يظهر بوصفه مؤشرا هجائيا أو دفاعيا¹⁵.

استعمل لابوف منهجية خاصة وجديدة في وقتها (أواسط ستينيات ق20م) لدراسة التنوعات الأدائية في اللغة الإنجليزية المنطوقة في مدينة نيويورك، ونشر نتائج هذا العمل في دراسة عنوانها: التقسيم الطبقي للغة الإنجليزية في مدينة نيويورك (*The Social Stratification*)

في هذه الدراسة أثرت تأثيرا قويا على كل الدراسات اللاحقة خاصة في اللسانيات الاجتماعية بصفة عامة ودراسة اللهجات الإقليمية بصفة خاصة. ثم قام في وقت لاحق بتوسيع المجال الجغرافي لدراسته، إلى ما سماه ملامح العامية الإنجليزية عند السود في أمريكا، وكانت هذه الدراسة أكثر تأثيرا من الأولى؛ فلقد توصل لآبوف إلى فرضية تقول بأن هذه العامية يجب أن لا تعتبر حالة متفرعة من الإنجليزية العامة، بل هي عبارة عن تنوع أدائي داخل الإنجليزية الأمريكية المشتركة يتميز بقواعده النحوية الخاصة. وقد استعمل في هذه الدراسات بعض التقنيات في استخراج المعلومات المفيدة من الرواة ومنها: طريقة سرد الحكايات والقصص حول الحياة الشخصية، أو بعبارة أخرى قصص الطفولة والحياة اليومية. لقد اعتمدنا هذه الفكرة في بعض المقابلات خاصة مع كبار السن، ولقد طورنا نموذجا خاصا لبحث الرواة على الاسترسال في هذا النوع من المحادثات.

في الآونة الأخيرة قام لآبوف بدراسة التغيرات الطارئة والمستمرة في النشوء داخل النظام الصوتوحرفي (الفونولوجي) للغة الإنجليزية المنطوقة في الولايات المتحدة، وكذلك دراسة أصول ونماذج ما يسميه بسلسلة النقلات (chain shifts) الحاصلة على مستوى الحروف المتحركة (vowels). وتعني سلسلة النقلات في اصطلاحه أن يقوم صوت معين بتعويض صوت ثان ثم ثالث وهكذا داخل سلسلة مرتبة بدلالة الزمن. في الأطلس اللساني للغة الإنجليزية في شمال أمريكا (*Atlas of North American English*) الصادر سنة 2006م، قام لآبوف بمعية مساعديه في الإشراف على هذا العمل الضخم، بتحديد ثلاث سلاسل كبرى للنقلات الصوتية متباينة (متباعدة ومتشعبة) مكانيا قائمة في النظام النطقي الحالي وهي: السلسلة الجنوبية، سلسلة نقل الحركات في المدن الشمالية، والنقل (نقل الحركات) المسموع في كندا. وقد لاحظوا بطبيعة الحال عددا أكبر من سلاسل الانتقال الصوتي في مناطق أخرى أصغر مساحة وداخل نطاقات جغرافية ضيقة، غير أن تأثيرها على النطق الإجمالي للغة الإنجليزية أضعف.

1.22. أسس اختيار العينة:

جاء في مقدمّة المشروع: إن استراتيجية اختيار العينات لمشروع أطلس اللغة الإنجليزية لشمال أمريكا صمم بهدف التمكن من إظهار أكبر قدر ممكن من التجمعات السكانية، مع إيلاء عناية خاصة لأئك الناطقين الذين يُفترض بصفة أولية أن يكون أدائهم مانثلا أكثر من غيرهم لإظهار تطور لغوي جدير بالملاحظة. ومعتمد الاختيار نتائج تحقيقات سابقة كشفت لنا أن التغير الفونولوجي يكون أظهر وأسرع ما يكون في المناطق العامرة والحضرية، وهي عموما أعلى مناطق الإقليم من جهة الكثافة السكانية. وحالما ينطق الناطق بنبرته المميزة فإنه

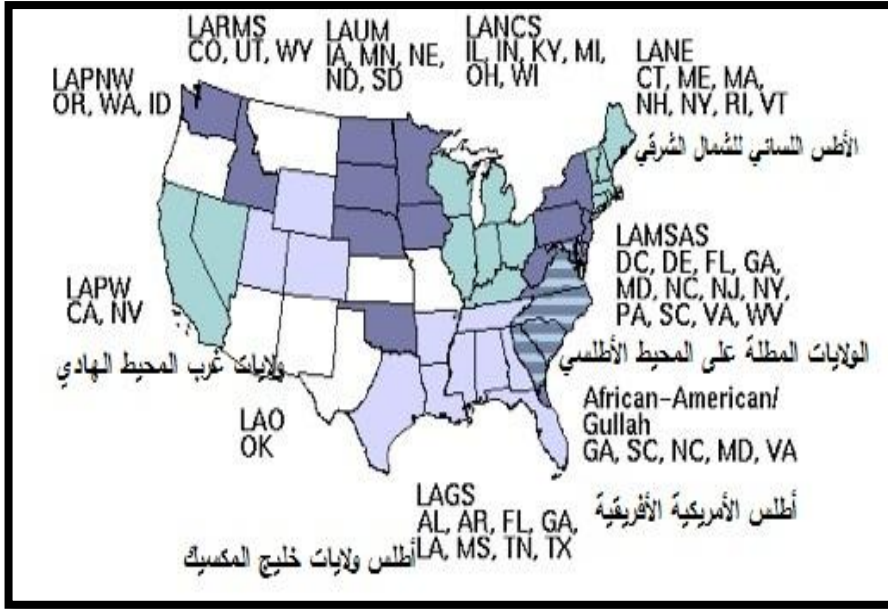
يتحول من مجرد عينة أو فرد في نقطة معينة معزولة من الخارطة إلى عضو مؤثر ومتأثر ينتهي إلى جماعة لسانية هي بدورها مؤثرة ومتأثرة. إن التمكن من ضبط هذه العينات (762 عينة) مع الوفاء بالاشتراطات الأنفة يتطلب التركيز في الحد الأدنى على المفاهيم الثلاثة الآتية:

1. مناطق التأثير اللغوي: وهي الأحياز والجهات التي تكون لاعتبارات عديدة منطلقا ومصدرا للتأثير في طرق الكلام لأحياز أخرى أوسع وأبعد منها. وهي حسب لابوف مركز الحزمة أو مركز المد الموجه في انتقال السمات اللهجية.

2. المدن الكبرى.

3. المناطق الحضرية (metropolitan areas)

الشكل 2: نموذج شبكة الأطالس اللسانية للولايات المتحدة (دراسة 2005).



المصدر: الصفحة الرسمية لمشروع الأطالس في أمريكا¹⁶

الجدير بالذكر أن النظرية القائلة بمحورية التغير الفونولوجي في تشكل اللهجات قد تم تطبيقها ولو بشكل جزئي على اللهجات العربية، فهناك على سبيل المثال مشروعان معروفان في هذا المجال أحدهما ترأسه الباحث شتيفان بروتشازكا من جامعة فيينا. والآخر ترأسه الباحث كيس فرستيخ من جامعة نجمينجين هولندا. وكلاهما اتخذ الأساس الفونولوجي للمقارنة بين اللهجات العربية في الأقاليم الستة: الحجاز واليمن والشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا.

ولا شك أن نتائج هذه الدراسات لافتة للنظر: لأنها كشفت عكس ما كان يفترضه مؤرخو اللسانيات منذ زمن النهضة، وأثبتت في المقابل صحة النظرية التي قال بها بعض علماء

اللسانيات العربية الكبار أمثال: عبد المجيد النجار وأحمد الأخضر غزال وعبد الرحمن الحاج صالح، ومفاد هذه النظرية أن البحث المنتظم في اللهجات العربية سيكشف لنا عن عدة حقائق تتعلق بخصائص اللسان العربي التاريخية والبنوية. ومما ذكر في هذا المجال مايلي:

أولاً: ضئالة ما يشاع حول تفكك اللغة العربية إلى لغات مستقلة كما حدث للاتينية مثلاً، وما يتصل بهذا الموضوع من مسائل فرعية كمسألة اللغة الأدبية المشتركة.

ثانياً: كشف النقاب عن ثروة هائلة من المكونات الفصيحة، بل العريقة في الفصاحة، التي احتفظت بها العاميات المحلية، سواء في مستوى المفردات أو مستوى التراكيب العامة، وثروة أكثر وأغرز في مستوى التراكيب الجامدة والأقوال السائرة. وجل هذه المكونات من الصنف الذي لا أمل للباحث في أن يعثر عليه في أي قاموس أو معجم قديم ولا حديث. وطالما أنها مكون اكتسابي ومورد طبيعي للغة الطفل، فضلاً عن كونها جزء لا محالة من ملكته اللسانية، فهي الأولى بالرصد والتصنيف المنهجي الرامي إلى تعظيم المردود البلاغي للغة العربية الفصحى الموصوفة بالمبسطة أو التعليمية.

222. الوسائل المنهجية الأساسية المستعملة في جمع المادة وتسجيلها:

أولاً: الاستبيان *linguistic questionnaires*

الاستبيانات أداة هامة في العمل اللغوي الميداني. بل هو الأداة الأساسية لكل الدراسات الرامية إلى مسح واسع النطاق في هذا المجال، وما يزال لهذه الأداة أولويتها القصوى وإن تطورت واختلفت أشكال تصميمها تبعاً لتغير الوسائل التقنية وطبيعة الحياة المعاصرة في حد ذاتها. تهدف بعض الاستبيانات إلى مساعدة المخبرين أو المتطوعين الذين يكونون عادة قلبي الخبرة وغير متمرسين في مجال البحث اللساني عامة، والمسوحات اللهجية على وجه التحديد.

ويمكن التفريق بين نوعين أساسيين من الاستبيانات استناداً إلى المادة المدرجة في أسئلتها وتلك التي ينتظر تحصيلها، فهناك استبيانات أساسية مخصصة لإعداد توصيفات عامة للغة من اللغات. في مقابل ذلك هناك استبيانات تركز على استخراج معلومات مثيرة للاهتمام من الناحية التقنية حول بعض الجوانب المعطاة مسبقاً فيما يخص أصوات اللغة ومفرداتها وقواعدها وغير ذلك. ومن العادة أن يشتمل الاستبيان على دليل للاستخدام، قد يكون هذا الدليل مضمناً بصورة مباشرة داخل المتن، أو يكون في شكل ملحق مستقل.

ثانياً: الاستعلام بواسطة الهاتف:

طبقت هذه التقنية في إعداد الأطلس الأمريكي و استحسنت نتائجها كثير من خبراء الميدان، ولكنها تطرح إشكالات عديدة لاسيما درجة الوثوقية، كما أن التجارب أوضحت أنها

يجب أن تتم دائما بطريقة غير مباشرة وغير رسمية، وبمعنى آخر ينبغي لمستخدمها أن يتخلى عن الاستبيان المعد مسبقا ويعتمد على مهارة المتحري وخبرته العالية في استلغاء الرواة.

ثالثا: الاستعلام بواسطة الشابكة:

أحدث ما يتم استخدامه حاليا هو الاعتماد على الشابكة، وقد أوضحت التجارب الأخيرة أن هذه التقنية لها مزايا كثيرة، فمن الممكن أن تجمع بين النمطين المباشر وغير المباشر كما أنها تعطي صورة أعمق عن النشاط الكلامي للرواة خاصة إذا تم استعمال الفيديو في تسجيل الإجابات حيث يمكن ملاحظة القرائن غير اللغوية ودورها في إحداث الكلام، ومن مزاياها أيضا إمكانية إجرائها في شكل حوارات ثنائية أو أكثر، فضلا عن جو الأتس والأريحية الذي يكتنفها.

ومن عيوبها الواضحة الصعوبة الشديدة في تحليلها، وهناك أيضا انتقادات كثيرة تشكك في مستوى مصداقيتها ذلك أن كثيرا من التسجيلات التي رفعها الرواة على الشابكة بدت مسرحية أكثر من اللازم وغلب على بعضها التهمك والاستهتار وهو أمر يخرج البحث عن مقصوده جملة وتفصيلا.

ومع ذلك فأنا شخصيا أرى أنه بعد النظر في كل من مزايا الطرق السابقة وعيوبها جنبا إلى جنب أعتقد أن المسلك الأنجع هو اعتماد كراسة استبيان جيدة التنظيم ولا بأس من فتح حملة تجريبية للتسجيلات العفوية عبر مواقع التواصل الاجتماعي تستهدف في المرحلة الأولى عينات نموذجية كالأستاذة والطلبة وبعض أعيان الفكر والأدب والثقافة.

3.22. التصنيفات الأساسية لطرائق تحصيل المادة وتسجيلها:

أولا: الطريقة المباشرة وغير المباشرة

معظم الدراسات تعتمد على الطرق غير المباشرة كونها تمنح فرصة أكبر لتحصيل لغة طبيعية خالية من الافعال والتكلف، بينما تتيح الطريقة المباشرة فرصة للحصول على وحدات أو سمات لغوية محددة واستخدامها هو بصورة عامة أسهل من الطرق غير المباشرة.

ثانيا: الطريقة الرسمية وغير الرسمية

الطريقة الرسمية تشترط إظهار جميع الأسئلة والوحدات المطلوب استخراجها داخل الاستبيان وتقديمها كلها للشخص الراوي. هذا المنهج هو الذي اعتمد بصورة أساسية في مشروع فنكر للغة الألمانية وكذلك في الأطالس البريطاني،

الطريقة غير الرسمية تعتمد على فتح محادثة عامة يتم توجيهها بواسطة المتحري اللغوي لجعل المتحدث يتطرق إلى الملمح المطلوب بصفة تلقائية، لقد اعتمد لآبوف هذه الطريقة في تحرياته باستخدام المكالمات الهاتفية

4.22. المشاكل والصعوبات التي تواجه هذا النوع من الدراسات:

أولاً: مستوى الكفاءة/ النجاعة efficiency

يرتبط هذا النوع من الصعوبات بالبعد الزمني المخصص للدراسة المسحية، ذلك أن المشكلة المطروحة هي حول الطريقة التي تمكننا من إجراء استبيان ومقابلات واسعة مع أعداد كبيرة من الأشخاص في مدة زمنية محدودة دون التطرق لإجراءات التصنيف والتحليل التي لا تقل تعقيدا وتحتاج بدورها إلى أناة وصبر كبيرين.

ثانياً: العينات samples

يرتبط هذا النوع من الصعوبات بالخصائص والمميزات الواجب توفرها في الشخص الذي ستأخذ عنه اللغة، وفي الحقيقة هذا العامل يشتمل على صعوبات لا يستهان بها، فهناك من الشروط والخصائص ما يكون شديد الندرة فيصعب العثور عليه، والعكس صحيح، ما يكون فاشيا وكثيرا جدا فيصعب القول بالسيطرة عليه مهما كبر عدد العينة. وعلى العموم هناك ثلاثة متغيرات ينبغي مراعاتها في اصطفاء العينات: الجنس، العمر، الخلفية التعليمية والثقافية.

ثالثاً: تقادم المعطيات obsolescence

نحن نعلم أن وحدات اللغة يقع عليها ما يقع على الأشياء الحسية، فإنها إن لم تستعمل بشكل مستمر وفعال تفقد دورها الوظيفي وتختفي تدريجيا من التداول الحقيقي، وهذا المشكل واجهه فعليا مشروع أطلس بريطانيا عموما ومشروع أطلس اسكتلندا حين لاحظوا أن كثيرا من المفردات التي كان يعتقد بوجودها في قاموس الفلاحين والصيادين ونحو ذلك قد اختفت فعليا ولم يعد يفقهها حتى المعمرين.

رابعا: مستوى المصادقية والثقة validity/reliability

ويتعلق الأمر بالإشكال المعرفي والمنهجي المطروح في كل الدراسات الإنسانية والاجتماعية وهو صعوبة الفصل بين الباحث والمبحوث، أو الاحتمال القائم دوما لتسرب نوع معين من الحكم الحدسي والانطباعي impression على تحليلات الباحث للظاهرة.

نتائج الدراسة:

ثمة جملة من الملاحظات والاستنتاجات التي يحتاج كل مقبل على خوض غمار البحث اللغوي الميداني أخذها في الحسبان، وهي ملاحظات تتأكد وتتوطد على سبيل الضرورة القصوى بالنسبة لكل مقبل على إنجاز أطلس لساني عام، ومن أهم هذه الملاحظات ما يأتي ذكره:

1. يتطلب إعداد الأطلس اللساني العام مرحلة تحضيرية طويلة ومفصلة، تتخللها دراسة مستفيضة للمعطيات الجغرافية والديمغرافية واللسانية.

2. ترتب الملامح اللسانية بحسب أولويتها من الأصل إلى الفرع، ولقد نهت جل المشاريع الأطلسية على الأهمية القصوى للتغير الصوتي بقسميه: الدال وغير الدال. وبعبارة أخرى فإن الفونيمات الحرة قد يكون تغايرها النطقي لهجيا وقد لا يكون كذلك، فمن الضروري التفطن إلى هذه المسألة لأنها ما زالت غير مكتفية في الدراسات العربية.

3. بالجمع بين الاقتراحات المطبقة في الأطالس العامة المنجزة نلاحظ بأن أغلبها اعتمدت متغيرين اثنين أو ثلاثة على الأكثر، وأهم هذه المتغيرات: السن، الجنس، والمستوى الثقافي. وفي الواقع العملي هناك متغيرات أخرى عديدة حاول بعض الدارسين تطبيقها، إلا أن هذه المحاولات لم تخل من جدل سواء في كيفية التحليل أو في التنسيق بين ما يعد من المتغيرات فرعيا وما يُنحل صفة المتغير الأصلي أو الجوهري. يقال ذلك بخصوص متغيرات مثل: الطبقة الاجتماعية، مناطق النفوذ، والمدن الصناعية.

الهوامش:

¹ - وردت هذه النسبة الزمنية في معجم مريام وبستر (Merriam Webster)، وهذا فيما يخص المصطلح في اللغة الإنكليزية. علما أن الأطالس بوصفها مجموعة منظمة من الخرائط اللسانية ظهرت في زمن أقدم من ذلك، كما يدل عليه الأطالس الألماني مثلا.

² - ذكر هذا التعريف، وجملة التفاصيل بخصوص الخريطة اللسانية الباحثان شامبرز وتروتفيل في موسوعتهما حول علم اللهجات. ينظر: Chambers, J.K.; Trudgill, Peter (1998). *Dialectology* (2nd ed.). Cambridge University Press. pp. 15–18

³ - وفي تجربة فهرس المصادر لإنكليزية القرون الوسطى المبكرة (Catalogue of Sources for a Linguistic Atlas Medieval English of Early) دليل إضافي على الفوارق الجوهرية في هذا الصدد، لأن المشرفين على هذا المشروع اعتمدوا الوثائق المكتوبة وجعلوها حجة، علما أن ماكتنوش هو الذي قدم للمشروع وكال له مديحا وتقريضا عريضا.

⁴ - النحاة الجدد (neogrammarians) وأصل تسميتهم هو: "النحاة الشباب" كما يدل عليه المصطلح في اللغة الألمانية (Junggrammiker) كان لهم ورقة علمية تضمنت خلاصة اقتراحاتهم أو منظومة الفرضيات الضرورية لدراسة التغيرات المنتظمة في الأصوات اللغوية. أشهرهم: أوتو بهافل، فلهلم بورنا، كارل بروغمان، برتولد ديلبروك، إدوارد بول.

⁵ - كانت قوانين التغير الصوتي على عهد النحاة الجدد تبحث في مطلق التحول التاريخي للأصوات، وقد تطورت فيما بعد بفضل نضج التصور الوظيفي للبحث في قوانين التفاضل (preference laws) التي تكشف الأولوية والتمايز بين الأصوات من حيث قابليتها للتحول أو عدم قابليتها. يراجع في هذا الصدد:

Preference Laws for Syllable Structure: And the Explanation of Sound Change.p2-5.

Theo Vennemann(1988),

⁶ - هذه الدول الثلاث التي تعد اللغة الألمانية فيها لغة رسمية، يضاف إليها كل من الليشتنتشتاين واللوكسمبورغ وبلجيكا، علما أن الألمانية مستعملة في أجزاء لأبأس بها من هولندا والدانمارك، كما أنها مستعملة في مناطق محدودة من أقصى شرق فرنسا (إقليم الألزاس).

⁷ - في مؤلف ألفرد لاميلي وآخرون دراسة مفصلة حول هذا المشروع في كتابه الموسوم: رسم الخرائط اللسانية (Language Mapping)، ص 160 وما بعدها.

⁸ - المرجع السابق، ص 158-169.

⁹ - يطلق عليها اصطلاح جملة من قبيل التقريب، ذلك أنها في واقع الأمر، وكما يوضح الجدول 1، جمل مركبة والأصح أن نسميها عبارات. ومن المهم التوضيح بأن هذه الجمل تغيرت سواء من جهة المضمون أو من جهة العدد عبر مراحل تطور العمل في الأطلس الألماني. وفي حقيقة الأمر التغييرات طالت كثيرا من الجوانب الإجرائية كما هو واضح في أطلس الحياة اليومية.

¹⁰ - يراجع الدراسة التي أنجزها بايلي وريتشارد حول هانز كورات الأب المؤسس للأطلس الأمريكي بعنوان في

مجلة اللغة: Language 68: 797-808, "Hans Kurath", (1992), Bailey, Richard W.

¹¹ - المصدر نفسه، ص 797 وما بعدها.

¹² - المركز الأمريكي القومي للبحث العلمي: The National Center For Scientific Research (CNRS). موقعه

الرسمي على الشبكة: <https://www.cnrs.fr/en/join/word-dhr.htm>

¹³ - ويليام لابوف 1927. أستاذ علوم اللسان في جامعة بنسلفانيا، مؤسس اللسانيات الاجتماعية. وله أبحاث

عديدة في علم اللهجات، له من الكتب الهامة: التراتبية الاجتماعية في إنكليزية مدينة نيويورك.

¹⁴ - ينظر الدراسة التالية في مجلة المجتمع الأمريكي لللسانيات الجغرافية. "What is Geolinguistics?", Gunnemark, Erik (1991).

Geolinguistics, journal of the American Society of geolinguistics. American Society of Geolinguistics. 17: 12

¹⁵ - يراجع تفاصيل هامة حول هذه القضايا على منصة الموقع الرسمي لمشروع الأطلس اللسانية الأمريكية:

<http://us.english.uga.edu/>

¹⁶ - عنوان الموقع الرقمي على الشبكة:

http://www.lap.uga.edu/Site/Atlas_Projects.html

مراجع الدراسة:

. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب، القاهرة. ط 1976م.

. إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي. دار الأندلس للنشر، الإسكندرية. ط 1981م.

. ثروت عبد السميع، اللهجات العربية: بحوث ودراسات. منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة. ط 1: 2011م.

. الحسن بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب. تح: محمد بن علي الأكوخ الحوالي. نشر المكتبة الحوالية اليمنية. 1403هـ/1983م.

. خالد نعيم الشناوي، الأطلس اللغوي والبحث اللساني عند العرب. مجلة آداب ذي قار، الناصرية، العراق.

- . عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي. دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1: 2003م.
- . عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية: نشأة وتطورا. منشورات جامعة فرجينيا، ط1990م.
- . كمال محمد جاه الله الخضر، أطلس اللغات في أفريقيا (اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي). مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ع66/2009م.
- . محمد التونجي، المعجم المفصل في علوم اللغة. دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1: 1993م.
- . محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الاجتماعي. مكتبة الآداب، القاهرة، ط1: 2009م.
- . وفاء كامل فايد، المجامع العربية وقضايا اللغة. عالم الكتب، القاهرة، ط1: 2004م.
- Bailey, Richard W. (1992), "Hans Kurath", Language 68: 797-808.
- Chambers, J.K.; Trudgill, Peter (1998). Dialectology (2nd ed.). Cambridge University Press.
- Gunnemark, Erik (1991). "What is geolinguistics ?" Geolinguistics, journal of the American Society of geolinguistics. American Society of Geolinguistics. 17: 12.
- Harold Orton et Al (1978), The Linguistic Atlas of England. 1st edu. Routledge, UK.
- H. H. Speitel and J. Y. Mather (1977), he Linguistic Atlas of Scotland: Scots section. Organized by: Linguistic Survey of Scotland. Editing by: Croom Helm.Scotland.
- Sharles, Sharon Ash. William Labov et AL (2008), The Atlas of North American English: Phonetics, Phonology and Sound Change. Walter de Gruyter, Berlin.